جامعة الزقازيق
كلية الآداب
قسم اللغة العربية

مظاهر الحضارة الثقافية فى شعر ابن الجيَّاب الغرناطي
(ت 749هـ / 1349م)

بحث مقدم من /

حارب محمد محارب

2021م -1442هـ

ملخص عربي للبحث

تناول البحث مظاهر الحضارة الثقافية في شعر ابن الجياب الغرناطي ، حيث استهدف بيان مدى تأثُّر ابن الجياب بالبيئة الأندلسية معنويًا ، ولقد أبدع الشاعر عندما جسَّد مظاهر الحياة الثقافية من تعليم وحركة علمية حقيقية في الأندلس؛ كانت خير شاهد على اهتمام الأندلسيين بالعلم، ووضح الدور العظيم الذي قام به أمراء الأندلس من مواكبة الحركة العلمية في ذلك العصر حتى نهضوا بها نهضة شاملة في كل مناحي الحياة.

Arabic summary of the research

The research deals with the manifestations of cultural civilization in Ibn al-Jiyab al-Gharnati's poetry, as it aimed to demonstrate the extent to which Ibn al-Jayyab was mentally influenced by the Andalusian environment, and the poet innovated when he embodied the manifestations of cultural life from education and a real scientific movement in Andalusia. It was the best witness to the interest of Andalusians in science, and it illustrated the great role played by the princes of Andalusia in keeping pace with the scientific movement in that era until they brought about a comprehensive renaissance in all aspects of life.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة

أحمد الله على جزيل نعمائه ، وأشكره شكر المعترف بمنهِ وآلائه ، وأصلي وأسلم على صفوة أنبيائه أبي القاسم محمد –صلي الله عليه وسلم– ، وعلى آله الطاهرين وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد :

فلا يذكر تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ، إلا ويقفز إلى الأذهان اسم الأندلس، ويسرح الخيال في جمالها وعظمتها، وما حِيك حولها من أساطير وروايات تأسر العقل وتخلب اللبَّ.

ولاريب في أن الذي أحَلَّ الأندلس تلك المكانة الرفيعة ، والمنزلة الكبيرة ، ذلك التمازج والتلاقح الفكري والحضاري بين الحضارة الوافدة الجديدة والحياة العربية الأصيلة، فقد قُدّر للأندلس في تلك الحقبة أن تحمل مشعل العلم، والفن ، والمعرفة ، وهاجا ساطعا قويا ، يأتي إليها طلاب العلم من كل فج عميق ، ينهلون على يد فقهائها وعلمائها شتى أنواع العلوم وصنوف المعرفة.

وأبو الحسن بن الجياب عَلَمٌ من الأعلام المجيدين وكاتب من الكتاب الرموز الذين برعوا في تقديم مظاهر الحضارة الأندلسية في عصر بني الأحمر بغرناطة (635هـ_897هـ\1237م_1492م) ، واستطاعوا أن يسيروا فيها خطوات واسعة ،حتي استقامت علي عودها من حيث الأساليب والشكل والمضامين.

ويتناول موضوع هذا البحث مظاهر الحضارة الثقافية في شعر ابن الجيَّاب الغرناطي(ت749هـ ـ 1349م)، وهو يستهدف بيان مدى تأثير البيئة الأندلسية المتحضرة معنويًا في شعره.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن أسير فيه على النحو التالي:

المبحث الأول : كان " التعليم في الأندلس " تناولتُ فيه طرق التعليم ، والشروط الواجب توافرها في المعلمين ، ثم أوضحت دور المكتبات في نشر العلم ومدى اهتمام الأندلسيين باقتناء الكتب .

المبحث الثاني : " تناولت فيه الحركة العلمية " وعرضت للعلوم التي كانت سائدة في الأندلس في ذلك الوقت مثل : العلوم الدينية ، والعلوم اللسانية .

وذيلت البحث بخاتمة أجملت فيها خلاصة الدراسة لهذا البحث وأخيرًا كان ثبت المصادر والمراجع.

مظاهر الحضارة الثقافية في شعر ابن الجياب الغرناطي
(ت 749هـ/1349م)

مدخـل:

لقد شهدت بلاد الأندلس ازدهارا ثقافيا، وأصبح وسائله "متاحة للناس جميعا وعلى حين لم يكن في بقية أوروبا من يعرف القراءة والكتابة، باستثناء رجال الكهنوت، وكانت معرفتهم أمرا عاديا و شائعا في إسبانيا الإسلامية، وقل فيها من كان أميا، وكان الحَكَم الأول يطمح في أن يأتي علي الجهالة في دولته، فأنشأ في العاصمة وحدها ولحسابه الخاص، سبعًا وعشرين مدرسة كبيرة يستطيع فيها أبناء الفقراء أن يتعلموا مجانا، وهي ميزة لم تكن وقفا علي العاصمة وحدها، وإنما كانت تشاركها فيها كبريات المدن الأندلسية كإشبيلية والمرية ومالقة وجيان وغيرها، وكانت المكتبة الملكية في قرطبه لا تضارع في شرق أو غرب ...، وكان غرام الناس بالكتب لاحد له، وبلغ من اعتناء أهلها بالكتب أنهم أخذوا يتجملون بها كما يتجمل الناس اليوم باقتناء السجاجيد والخزف والطرف الأثرية" [1].

وأبناء الأندلس يحبون العلوم، ويعشقون الأدب "وهم أحرص الناس علي التميز فالجاهل الذي لم يوفقه الله للعلم يجهد أن يتميز بصنعة... والعالِم عندهم معظّم من الخاصة والعامة يشار إليه ويحال عليه ويَنْبُه قدره وذكره عند الناس ويُكرَم في جوار أو ابتياع حاجة أو ما أشبه ذلك. ومع هذا فليس لأهل الأندلس مدارس تعينهم على طلب العلم، بل يقرءون جميع العلوم في المساجد بأجرة، فهم يقرءون لأن يعلموا لا لأن يأخذوا جاريا فالعالم منهم بارع لأنه يطلب ذلك العلم بباعث من نفسه يحمله علي أن يترك الشغل الذي يستفيد منه، وينفق من عنده حتى يعلم ، وكل العلوم لها عندهم حظ واعتناء إلا الفلسفة والتنجيم، فإن لهما حظا عظيماً عند خواصهم، ولا يتظاهرون بها خوف العامة..." [2].

لقد حرص عامة الناس في الأندلس على التعليم، "فالأشخاص هم الذين ينفقون على تعليم أبنائهم بعيداً عن الدولة؛ حيث يحفظ الطفل جانبا من القرآن الكريم ويحفظ

([1]) الطاهر أحمد مكي : دراسة في مصادر الأدب، ص 279 ، 280

([2]) المقري نفخ الطيب ج١ ص 220 ، 221

قصائد من الشعر ومقتطفات من النثر ويدرس شيئا من النحو وقليلا من الحساب والكتابة والقراءة على الطريقة الجملية". [3]

"كان طبيعيا أن تعني الأندلس مبكرة بقيام مؤدبين علي تعليم الناشئة الفصحى وقواعدها، و تحفيظها القرآن الكريم أو سورا منه وبعد الأحاديث النبوية، وبالمثل تعليم من دخلوا في الدين الحنيف من الإسبان وأبنائهم؛ حتى يستطيعوا جميعا النطق بالفصحي وبعض آيات القرآن الكريم في صلاتهم"(4).

لقد حظيت الأندلس بازدهار ثقافي كبير، وأسباب ذلك كثيرة،" أهمها عصري الإمارة والخلافة كانت بمثابة فترة إعداد طويلة تجمعت خلالها مواد وافرة غزيرة في كل فرع من فروع الدراسات اختمرت اختمارا طويلا، وثانيها أن علماء قرطبة غادروها أثناء الفتنة، وانتشروا في شتي نواحي الأندلس، وكذلك تفرقت في كل مجموعات الكتب التي كانت مختزنة في مكتبات قرطبة، وثالثها تلك الحرية التي أباحها ملوك الطوائف في شتى نواحي الحياة الاجتماعية بما فيها النواحي الدينية"(5).

وبعد تلك المقدمة يتضح لنا أن مظاهر الثقافة الأندلسية قد تعددت وتنوعت وخاصة الحركة العلمية والأدبية وسوف أعرض لهما.

أولًا :التعليم في الأندلس:

"لقد قامت الأندلس على نظام تعليمي عظيم بنيت عليها حضارتها، وهذا النظام التعليمي المتكامل له الدور الرئيسي في ارتقائها وبقائها"(6).

"كانت الأندلس ثمرة تمازج فكري بين الشرق والغرب على نحو قلما نجد له مثيلا في كل بلاد الإسلام، ولهذا تاريخها عميق تنفرد بخصائص ومميزات فريدة وغرناطة بلدا على جانب كبير من الأهمية وولاية عظيمة من الولايات الإسلامية وقد اتسمت بسمات العظمة والجلال باستنباط المعارف والعلوم وبثها في أقطار

([3]) الطاهر أحمد مكي : دراسات عن ابن حزم وكتاب طوق الحمامة ص 45 ، 46

([4]) شوقي ضيف عصر الدول والإمارات ص 91

([5]) انخل جنثالث بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ص 28

([6]) محمد عبد الحميد عيسي : تاريخ التعليم في الأندلس ص 49 ج1 دار الفكر العربي 1982م.

المعمورة و أنحاء العالم ونشروا لواء الحضارة على الربوع الأوروبية التي كانت ترزح تحت ظلمات الجهل، والانحلال، والظلم، والاستبداد، فانتقلت بالقارة الأوروبية من براثن الانحطاط إلي الرقي والازدهار، فكانت إدارة الوحدة الثقافية والحضارة فيها، وهذا مما سهل نشر العلم و مشاركة جميع أبناء الأندلس في تقدمه و تنميته وتطويره"(7).

لقد كان الأندلسيون حريصين كل الحرص على العلم فقد اتسعت الحياة العلمية في الأندلس لتشمل عدة علوم ومعارف منها ما هو نظري وما هو عملي لذلك "اهتم أهل الأندلس بالعلم وأهله" (8) "وكان العالِم عندهم معظمًا من الخاصة والعامة يشار إليه ويُحَال عليه وينبه قدره وذكره عند الناس ويكرم في جوار او ابتياع حاجة"(9).

"ولقد تعددت أماكن التعليم في الأندلس لتعدد مراحله التي تبتدئ بالكتاب أو بالمعلمين الخاصين وتنتهي بأن تكون حلقة في مسجد"(10).

يقول ابن الجياب وهو يحيل القارئ إلى مكانة العلم في غرناطة من بحر البسيط[11]:

يا طالب العلم هذا بابه فتحا فادخل تشاهد سناه لاح شمس ضحي

لقد اهتم الأندلسيون منذ الوهلة الأولى بالقرآن الكريم، وتدريسه والحرص على حفظه، ويشغل المسلمون وقتهم بقراءته، وتعليم الخط للرجال والنساء.

يقول ابن الجياب من بحر البسيط[12]:

نشأت في كنف الحبر الإمام أبي فخر الهدي والندي واليمن والظفر
فكان درس كتاب الله مجتهدا أولي وأول ما قدمت في صغري
فما برحت علي القرآن معتكفا ملازم الذكر في ورد وفي صدر

---

(7) ابن الخطيب الغرناطي أعمال الأعلام ص 288
(8) أحمد محمد الطوخي مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر ص 215
(9) المقري نفخ الطيب ج١ ص 205
(10) رضا عبد العظيم على مرسي مظاهر الحضارة الإندلسية في شعر ابن دراج القسطلي ص ١٩١
(11) الديوان ص ١١١
(12) الديوان ص 177

أغدو إلي خدمة الذكر الحكيم فما كمثل خدمته فخر لمفتخر
فظلت من بركات الذكر حيث غدت تسدي إليَّ هدايا البِشْر والبشَرِ

نجد في هذه الأبيات ابن الجياب يؤكد علي نشأته الدينية وحرصه على دراسته وحفظه للقرآن منذ الصغر وقد ظل خادما له حتي مماته.

أ. طرق التعليم:

فالتعليم في الأندلس كان يجد اهتماماً خاصًا، ولقد تنوعت طرق التعليم في الأندلس، ومن هذه الطريق التلقين حيث "طريقة التعليم في الكُتّاب و تتلخص في أن المعلم يقوم بقراءة آية من آيات القرآن، ثم يقوم الطفل بترديدها حتى يحفظها حتى ينتقل إلى أية أخرى وهكذا". [13]

ونجد الشاعر ابن الجياب يشير إلى طريقته في حفظ القرآن حيث يقول[14] من بحر" البسيط" :

فكان أول ما بادرت في صغري أني درست كتاب الله مجتهدا
فلم أزل أعمر الأوقات منه بما يفوز مَنْ راح في تحصيله وغدا
فطبت طعما إذ رددته بفمي وأشرق القلب إذ أودعته الخلدا
وقد ظفرت بحظ منه أحكمه حفظي وقرَّب لي منه مديً بعُدا

والشاعر هنا يشير إلى تنقله وترحاله من أجل تحصيل القرآن الكريم، وذكر أنه كان دائما يردده بفمه، وهذا الترديد مدعاة للحفظ.

لقد كانت المواظبة في حفظ القرآن الكريم والدأب على ذلك سمة غالبة في الأندلس، حيث "تعود التقاة الطيبون من بعض المسلمين أن يتدربوا عليها يوميا فهم يقرأون القرآن آناء الليل وأطراف النهار ويرى بعض الأساتذة أن ذلك أفضل الطرق لتثبيته في الذاكرة"[15].

([13]) محمد عبد الحميد عيسى : تاريخ التعليم في الأندلس ص243
([14]) الديوان ص 134
([15]) خوليان ريبيرا : التربية الإسلامية في الأندلس ص 51

والدليل على ذلك قول ابن الجياب من بحر البسيط[16]:

نشأت في كنف المولي الهمام أبي ... معَّرس الفخر بين العلم والكرم
فكان أول ما قدمت في صغري ... أني جعلتُ كتاب الله ملتزمي
فما برحت على القرآن معتكفا ... مبرأ العزم من أين ومن سأم

ب . المعلمون :

لقد كان للمعلمين مكانة عظيمة في الأندلس، فقد قامت الحضارة الأندلسية علي أكتافهم فهم أساس ازدهارها ونهوضها ولقد كانت هناك شروط لابد من توافرها في المعلم أولها " (العلم) و يحرص المعلم على أن يحصله بكل جهد ممكن له، فيذهب إلى المشرق ليدرس هناك، وأن يختلف إلى مجالس كبار العلماء في قرطبة والقادمين من المشرق بخاصة وأن يحرص على اقتناء، أو على الأقل دراسة ما يؤلف من الكتب لحظة صدورها". [17] ولقد ذكر ابن الجياب حرص المعلم على طلب العلم.

حيث يقول من بحر البسيط[18]:

يا طالب العلم هذا بابه فتحا ... فادخل تشاهد سناه لاح شمس ضحي
واشكر مجيرك من حل ومرتحل ... قد قرب الله من مرماك ما نزحا
وشرفت حضرة الإسلام مدرسة ... بها سبيل الهدي والعلم قد وضحا

ولقد أشار ابن الجياب إلى هذه الصفة قائلاً [19]:

فكان أول ما بادرت في صغري ... أني درست كتاب الله مجتهدا
فلم أزل أعمر الأوقات منه بما ... يفوز مَن راح في تحصيله وغدا
وقد ظفرت بحظ منه أحكمه ... حفظي وقرب لي منه مدي بعدا
وكافأ الله بالحسنى معلمنا ... فإنه أحسن التعليم واجتهدا

([16]) الديوان ص 391

([17]) رضا عبد العظيم على مظاهر الحضاره الأندلسيه في شعر ابن دراج القسطلي.

([18]) الديوان ص 111

([19]) الديوان ص 134

وهذه الابيات تؤكد الحرص على التعليم منذ الصغر، وحرص الناشئة على العلم حتى يكون لهم مكانة في مجتمعهم، وبهم ظهرت نور الحضارة الأندلسية، وقال – أيضا– ابن الجياب يرثي شيخ المشايخ وعلم الأعلام أبا بكر الساحلي من بحر الطويل[20]:

ففي طاعة الرحمن أنفذ عمره فما شاب إلا في رضاه ولا شبا

وفي خدمة المختار أفني زمانه رآه بعين القلب حقا فلا حجبا

نجده يتحدث عن شيخه، ويذكره بصفات من أهمها: حبه للسنة والدفاع عنها وتعلمها وتعليمها.

الدين والتقوى:

فكان لابد أن يتصف المعلم –بجانب صفة العلم– إلي الدين والتقوى وقد ذكر ابن الجياب ذلك في شعره حيث يقول ابن الجياب وهو يهنئ أبا الحجاج بإبلال من مرض من بحر السريع[21]:

دينٌ وعلمٌ وندي شامل مجد كريم طاب أصلا وطال

يا سيدي الأعلى الذي فضله بلغني الآمال في كل جال

وإلى جانب هذه الصفات كانت مئات من الصفات نالت احترامًا وتقدير المعلم وهي تحري الصدق حتى في الأمور التي لا تتصل بالعلم لأن افتقاده يمكن أن يؤدي إلى نتائج سلبية وألا يكون صاحب عادات سيئة تؤخذ عليه فمثل هذا لا يمكن أن يوكل إليه أمر قيادة الشبيبة في اطمئنان وعليه أيضا أن يكون في درسه بشوشا واجتماعيا، سخيا في ملاحظاته، وأن يتزين بالتقوى، وأن يبتعد عن التلاهي في الأمور لئلا تنفر نفوس طلبته منه وأن يحرص الطالب ويرغبه في العلم، وأن يكون معه كما يكون الأب لابنه ويكون له المثل الأعلى[22].

([20]) الديوان ص 69

([21]) الديوان ص 309

([22]) خوليان ريبيرا التربية الإسلامية في الأندلس. ص 107 الي ص 117، ترجمة د/ الطاهر أحمد مكي ج1 دار المعارف 1981

جـ . المكتبات:

اهتم العرب في الأندلس بالكتب وجمعها كي يتواصلوا مع أدبهم العربي وثقافتهم العربية المشرقية ومن ثَمّ التأليف علي منوالها حتى تبدأ بعد ذلك مرحلة الإبداع الذاتي [23].

ويحدثنا المقري عن حب الأندلسيين لاقتناء الكتب فيأتي في قوله والأندلس أكثر بلاد الله كتبا وأشد الناس اقتناء بخزائن الكتب صار ذلك عندهم من آلات التعيين والرئاسة حتى أن الرئيس منهم الذي لا تكون عنده معرفة يحتفل في أن تكون في بيته خزانة كتب وينتخب فيها ليس إلا لأن يقال فلان عنده خزانة كتب [24].

وقد برز الاهتمام بجمع الكتب بشكل واضح زمن حكم المستنصر بالله والذي قال عنه ابن الآبار كان من المعرفة بالرجال والأخبار والأنساب وكان ثقة فيما ينقله، وقلما يوجد كتاب في خزائنه إلا وله فيه قراءة، أو نظر في أي فن كان[25].

ولم يكن الاهتمام بالكتب والمكتبات قاصرا على الحكام والأمراء، بل إن غالبية المجتمع الأندلسي عموما كانت شغوفة بالقراءة ومحبة لجمع الكتب كما تسمح به ظروفه المالية وتقول المستشرقة زيغريد هونكة:" لقد أحاط العرب الكتب في قلوبهم حتى المؤلفات الفنية الدقيقة في الهندسة والطب والفلك والفلسفة" [26].

وقد كانت الكتب تروي أخبار الأمراء وعزهم وخاصة من كان منهم يحيا في خدمة العلم طوال حياته مثل ذي الوزارتين ابن الحكيم وولده الذي مات وافتقده العلم وافتقدته الكتابة والمكتبات و تأليف الكتب.

حيث يقول ابن الجياب في وصفه بقصيدة من بحر البسيط[27]:

غصن نما إذ قوي بطن الثري عجبا والغصن مهما ثوي بطن الثري صلحا

وقد كانت الكُتْب ترجوه وتأمل أن فقال رسما لها لولاك قد مسحا

([23]) الدكتور : خالد بن محمد بن مبارك القاسمي / تاريخ الحضارة الإسلامية في الأندلس ص 106

([24]) المقري نفح الطيب ج 1 ص 462 ـ 463

([25]) د/ خالد بن محمد مبارك القاسمي / تاريخ الحضارة الإسلامية في الأندلس ص 106

([26]) زيغريد هونكة : شمس العرب تشرق على الغرب ص 375

([27]) الديوان ص 109

وقد كانت الكتب العتيقة مرجعا لأخبار الملوك والأمراء وتسجيل مآثرهم وسيرتهم الذاتية وكيفية حياتهم بل سجلت ملابسهم و حياتهم الخاصة.

يقول ابن الجياب في مدح أحد الملوك في قصيدة مدحية من بحر الخفيف [28]:

أشرقت من طلوعه الأرض حسنا فهي تختال في ثياب الجمال

سفرت في الكتب العتيقة لما أن رأته سوافر الإقبال

وكان مما شجع على نشر التعليم والثقافة في الأندلس –عامة وغرناطة خاصة– اهتمام الملوك والأمراء بالعلم والثقافة، وبرز اهتمامهم بجمع الكتب واقتنائها مهما بلغ.

مما جعل ابن الجياب يشيد بدورهم أيما إشادة، وعلى رأسهم ذو الوزارتين أبوعبد الله بن الحكيم والذي وصف ابن الجياب وزارته التي أعلت من شأن العلم، وجعلت دولة بني الأحمر كلها دولة علم

يقول ابن الجياب من بحر السريع[29]:

وهل يجور الدهر جورا علي من بحمي هذا الوزير استجار

في دولة العلم التي قد علا للعدل والإحسان منها منار

ويصف ابن الجياب ابن الحكيم بأن الكتابة والتأليف قد ازدهرا على يديه من بعد ما قد ساءت حالتهما في عصور سابقة لعصر ابن الحكيم، يقول ابن الجياب من بحر الكامل[30]:

ويراعة قد سطرت بك عزها من بعد ما أخنت عليها الأعصر

نالت من العلياء مجدا فوق ما تختاره لو أنها تتخير

وقد استلقت بالعلامة وازدهت فتكاد من زهو بها تتبختر

([28]) الديوان ص 306

([29]) الديوان ص 168

([30]) الديوان ص 166

ويعتبر ابن الجياب تولى ابن الحكيم بشرى بالكتب حيث تؤلف وتجمع يقول من بحر الخفيف [31]:

كـــل يـــوم بشـــائر فـــي اقتبـــال وســـعود طـــول المـــدي فـــي اتصـــال

بشـــروا الكتـــب المطهمـــة الجـــر د وبـــيض الظبـــا وســـمر العـــوالي

فلقـــد ســـر كـــل دان وقـــاص كوكـــب لاح فـــي ســـماء المعـــالي

ويجاوب ابن الجياب الفقيه أبا الطاهر بن فواش ويصف دوره العظيم في خدمة العلم وأنه قطع عمره كله في خدمة العلم وأهله.

يقول ابن الجياب من بحر الكامل[32]:

وقطعتـــه فـــي خدمـــة العلـــم التـــي تجنـــي بهـــا الحســـني وعقبـــي الـــدار

ويخاطب ابن الجياب أبا الحسن بن مسعود واصفا وزارته بأنها كانت دائمة للدين والعلم، وقد ازداد نور العلم ازدهارا، وتقدما على يديه فكانت وزارته من تطبيق الشريعة، والاستثمار بنور العلم مثالا يحتذى به في العدل والتقى.

يقول ابن الجياب من بحر البسيط[33]:

وزارة الـــدين والعلـــم الـــذي بهـــرت أنـــواره والســـماح الواكـــف الـــدرر

أقـــام فيهـــا منـــار العـــدل متصـــفا بـــبطش متئـــد فـــي حلـــم مقتـــدر

ثانيًا : الحركة العلمية:

اهتم أهل الأندلس بالعلم وأهله، "وكان العالِم عندهم معظَّمًا من الخاصة والعامة يشار إليه ويُحَال عليه ويعلو قدره وذكره عند الناس ويكرم في جوار أو ابتياع حاجة"[34].

ولقد امتدح ابن خلدون أهل الأندلس "بأن لهم من ذكاء العقول وخفة الأجسام و قبول التعليم ما لا يوجد لغيرها" [35].

([31]) الديوان ص 166

([32]) المصدر نفسه : ص 171

([33]) المصدر نفسه: ص 174

([34]) المقري : نفح الطيب ج١ ص 205

([35]) ابن خلدون : المقدمة بيروت ص 88

ولذلك بلغت الأندلس ذروة الحضارة، وكان لها باعٌ واسعٌ من العلوم والمعارف حيث تبادلته مع الأمم الأخرى فأثرت وتأثرت.

1. الحركة العلمية:

تتسع الحياة العلمية في الأندلس " لتشمل عدة علوم ومعارف منها ما هو نظري ومنها ما هو عملي مادي وهذه العلوم التي اتسعت وصار لها علماؤها واختصاصيوها أَضْفَتْ على الحياة الأندلسية حركة دائبة وتفاعلاً بين البيئة والمجتمع الجديد" [36] وقد أشار ابن الجياب إلى تنوع العلوم والمعارف في الأندلس وأن الخليفة يوسف الأول قد جمع أنواع المعارف كلها، يقول من بحر الكامل [37] :

جمَــعَ العلــوم عنايــةً بفنونِهــا آدابَهــا وحســابَها وجِــدَالها
منقولهــا معقولهــا وأصــولها وفروَعهــا تفصــيلَها إجمالهــا

ويمكن أن نصنف أنواع العلوم التي عُرف بها الأندلسيون على الشكل التالي :

أ- العلوم الدينية.

ب- العلوم اللسانية.

أ ـ العلوم الدينية :

وتشمل علوم القراءات والتفسير والحديث والفقه والكلام:

1. علم القراءات :

لقد جعل أهل غرناطة القرآن أساساً في التعليم وأخذوا يدرسونه بجانب الشعر والنثر و قوانين اللغة العربية وتجويد الخط[38]ولقد افتتحت الأندلس –عامة– الكتاتيب لتعليم القرآن منذ عصرها الأول عصر الولاة [39]وقد ذكر ابن الجياب اهتمام

([36]) د/ خالد بن محمد مبارك القاسمي / تاريخ الحضارة الإسلامية في الأندلس ص 71

([37]) الديوان ص 314

([38]) ابن خلدون : المقدمة بيروت : ص 538

([39]) افتتاح الأندلس لابن القوطية طبعة مدريد ص 40

الأندلسيين بتعليم أولادهم القرآن الكريم وتحفيظه لهم، وجعله أساس التعلم منذ الصغر فيذكر في أبيات حذقة [40]من بحر البسيط [41]:

فكان درس كتاب الله مجتهداً ... أولى وأولّ ما قدَّمت في صغري
فما برحتُ على القرآن معتكفا ... مُلازَم الذكر في وِرْدٍ وفي صدر
أغدو إلي خدمة الذكر فما ... كمثل خدمته فخر لمفتخر
فظلت من بركات الذكر حيث غدت ... تسدي إليَّ هدايا البشْرِ والبُشَر
نُعمي وُرحمي وأنباءٌ مُفَصَّلةٌ ... في سالف الخلق من عُذْرٍ ومن نُذُرِ
وقد ظفرت بحفظٍ منه أحكمه ... حفظي لأسرع وقتٍ فِعْلَ مُقْتَدر
وعن قريبٍ بعون الله أختمه ... فاليوم ليس سوي حُبّي له وطري

وقد أخذ المؤدبون في الأندلس يُحِّفظون الناشئة سورًا من القرآن الكريم منذ استقرار المسلمين هناك [42] ، وكانوا يأخذون أجرا على تعليمهم الناشئة [43]وقد ذكر ابن الجياب اهتمام الآباء باصطحاب أبنائهم إلى معلمي القرآن حتى يحفظوا كتاب الله ويتقنوه، وكان معلمو القرآن يجتهدون في تعليم طلابهم وتحفيظهم القرآن ومعاونتهم على إتقانه، وقد أثنى ابن خلدون على مؤدبي الأندلس وأنهم استطاعوا أن يغرسوا في الناشئة – فضلا عن حفظ القرآن – الملكة العربية مما أعدهم ليصبحوا أهل أدب بارع [44].

يقول ابن الجياب في اعتراف الناشئة بفضل المؤدبين في تعليمهم كتاب الله [45]:

فالله يجزي أبي من فضل نعمته ... خير الجزاء بما أولي وما قصدا
وكافأ الله الحسني معلّمنا ... فإنه أحسن التعليمَ واجتهدا

([40]) الحذقة : هي الاحتفال بإتمام الصبي قراءة القرآن أو جزء منه ويدعو فيها الصبي أصحابه للاحتفال بهذه المناسبة والحذقة : قصائد ينظمها الشاعر على لسان صبي احتفالا بإتمامه حفظ القرآن). (ديوان ابن الخطيب) تحقيق د/ محمد مفتاح دار الثقافة للنشر والتوزيع الدار البيضاء 1989م ج1 : 332).

([41]) الديوان ص 177

([42]) د/ شوقي ضيف تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات (الأندلس) ص106

([43]) طبقات النحويين واللغويين (3) للذبيدي (طبعة القاهرة) ص 278

([44]) د/ شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات (الأندلس) ص 62

([45]) الديوان ص 134

والحمـــدُ لله ختمـــاً بعـــد مُفْتَـــتحٍ علـي مواهـبَ لا نُحصـي لهـا عَـدَدا

" وكان الناشئ ينهي هذا التعليم الأول يتحول الى حلقات الشيوخ في المساجد ليتزود من هذا العلم أو ذلك من العلوم الدينية، ومنها علم القراءات"[46]ومما يؤكد انتشار القراءات في الأندلس قول المقري في نفح الطيب "وقراءة القرآن عندهم كانت بالسبع "[47].

ويذكر ابن الجياب حال طالب من طلبة القرآن، ومحبيه وقد درس القرآن وحفظه ومنعته محبة القرآن والعكوف على تعلم أحكام تلاوته وقراءته لذة النوم فَعَمَّ الله حياته بالبركات وحصل من حلاوة القرآن غض الثمار، فصار يرتع في رياض القرآن، ويرتوي من أنهارها العذبة، وقد أتم حفظه وأحكام تلاوته عن طريق تعلمه عند أستاذه الذي أقرأه له ولقنه إياه.

يقول ابن الجياب من بحر البسيط [48]:

مُبَـــادراً لكتـــاب الله أدْرِسُـــهُ محبّـــة منعتنـــي لـــذَّةَ الوَسَـــن
فظلتُ من بركاتِ الذّكرِ حيثُ غَدَتْ أجني بها ثمراً غضَّ القطوف جني
رتعـتُ منـه بـرَوْض يـانعٍ خَضِـلٍ وَرَدْتُ عَـذْباً فُراتـاً لـيس بالأسـن
وقـد ظفـرتُ بحـظّ منـهُ أحكمُـهُ حفظي فيا حبّذا مَنْ بالكتاب عُنِي
فيسَّـر اللهُ فـي خَتْمـي لـه أملـي وصـانه فـي فـؤاد حـافظٍ لَقِـنِ

ويذكر ابن الجياب في أبيات حذقة على لسان بعض حفظة القرآن الكريم أنه بعد إتمام حفظه اجتهد في تحصيل علوم القرآن "ومعروف أنه تكونت حول القرآن علوم كثيرة تتناول نقطه ورسمه والإملاءات فيه والإدغام والوقف والابتداء، كما تناول مشكل معانيه، وناسخه، ومنسوخه وأحكامه، وظلت الأندلس تعني بتلك العلوم ومنها بالطبع علم القراءات وظل الأندلسيون يؤلفون فيها مثل المشارقة" [49].

([46]) المرجع السابق ص 62
([47]) المقري : نفح الطيب ج1 ص 221
([48]) الديوان ص 424
([49]) د/ شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات الأندلس ص 108

يقول ابن الجياب من بحر البسيط [50]:

وقـــد توسّـــطْت منـــه الآن مرتبـــةً ... مـــا بـــين مفتـــتحٍ منـــه ومُخْتَـــتَم
لمّـا انتهيـتُ إلـى كـافٍ ويُسّـر لـي ... نصفُ الكتـابِ العزيـز البـاهر الحِكَـم
وعـــن قريـــب بعـــون الله أختمُـــهُ ... فقـد قصـرتُ علـي تحصـيله هِمَمـي
حتّـي إذا صـحّ لـي مـن حِفْظِـه أَمَلـي ... شـمَّرتُ فـي عِلمْـهِ تشـهير معتـزم

2. علم التفسير:

لقد "دعت الحاجة منذ نزول القرآن على الرسول –صلى الله عليه وسلم– إلى تفسير بعض آياته فكان الصحابة يرجعون إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ليفسر لهم بعض ما يتوقفون فيه، وكان –هو أحيانا– يبادر فيبين لهم بعض الآيات، يقول جَلّ ذكره (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم)[51]،ويقول: (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وآخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب)[52].

وتدل الآية الأولى دلالة واضحة على أن الرسول –صلي الله عليه وسلم– كان يبين للناس الأحكام القرآنية أمرا ونهيا، فهو المفسر الأول لأوامر الله ونواهيه. وتدل الآية الثانية على أن في القرآن آياتٍ تحتاج تأويلا، وهي تصرح بذلك في وضوح في مقدمة تفسير الطبري عن ابن مسعود: " كان الرجل إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن ".

ويتضح لنا من نص الآية الكريمة الثانية أنه سمح لأولى العلم بالدين وأصوله من الصحابة أن يفسروا للناس آي الذكر الحكيم، وهم الذين يسميهم الله –عز وجل– بالراسخين في العلم [53].

([50]) الديوان ص 392
([51]) سورة النحل الآية (44)
([52]) سورة آل عمران الآية (7)
([53]) د/ شوقي ضيف : العصر الإسلامي ج1 دار المعارف ص 28 – 29

"واهتم المسلمون في المشرق بتفسير القرآن الكريم وبرز منهم علماء كُثُر لهم مؤلفات متعددة ومتنوعة في التفسير، واهتم الأندلسيون كذلك بتفسير القرآن الكريم وَفِهْمِ معانيه وشرح كلامه من الناحية اللفظية اللغوية وناحية المعاني والأفكار ومعظم اعتمادهم في التفسير على الحديث النبوي الشريف قولا وعملاً وهدفهم التوفيق بينه وبين آي الكتاب المنزل" [54].

"وإذا تحدثنا عن نشاط الأندلسيين في تفسير الكتاب العزيز، فأقدم ما أُلِّفَ فيه هناك كتاب بقى بن مخلد المتوفي سنه 276 للهجرة وفيه يقول ابن حزم " هو الكتاب الذي أقطع قطعا لا استثني فيه أنه لم يؤلف في الإسلام تفسير مثله: لا تفسير محمد بن جرير الطبري، ولا غيره. وابن حزم يضعه فوق تفسير الطبري أهم التفاسير المشرقية وانتجت الأندلس بعده تفاسير عدة ويختتم نشاط الأندلسيين في تفسير القرآن العظيم في كتاب (البحر المحيط) لابن حيان [55].

وقد عبر ابن الجياب عن مصطلح علم التفسير، تارة بلفظ التفسير، وتارة أخري بلفظ التأويل فنجده يذكر لفظ التفسير؛ حين يذكر وزارة ابن الحكيم الذي رفع قواعد حكمه بالعدل والقسط وقامت على أمور الحكم ببراعة و صرامة وإتقان وكان لها الباع في حل المشكلات وتفسير أسبابها فعلت فوق الكواكب.

يقول ابن الجياب من بحر الكامل [56]:

ورئاسةٌ رفعت قواعد حكمها وعلا لها فوق الكواكب مظهر

قامتْ بحذقٍ صارمٍ و براعةٍ فبها القضايا المشكلاتُ تُفسَّر

ويذكر ابن الجياب التفسير أيضا بمعنى التأويل حين يجاوب الشريف الرضي بقصيدة من باب الإخوانيات تدل على مدى المحبة بينهما، وَيُقْسِم ابن الجياب بالحب الذي يكنه للشريف الرضي فهو ذخيرته وخزانته المليئة بأنفس الحلل.

وقد حاول ابن الجياب تأويل ذلك الحب الشديد وتفسيره فلم يصل لتأويل واحد صحيح له، يقول ابن الجياب من بحر الكامل [57]:

([54]) آنخل جنثالث بالنسيا : تاريخ الفكر الأندلسي ص 459

([55]) د/ شوقي ضيف / تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات الأندلس ص 108 – 109

([56]) الديوان ص 165

قسماً بحبي فيك وهو ذخيرتي ... ما ضنَّ منه بأنْفسِ الأعلاق

لقد التمست وجوه تأويل فما ... ألفيتَ للتأويل وَجهُ وفاق

ويقصد بالتفسير –أيضا– عند ابن الجياب شرح الآيات وظهر ذلك في أبياته وهو يصف الدولة النصرية في عهد أبي الحجاج يوسف الأول، وأنها دولة فاضت عطاياها على الرعية فكأنها كانت مفتاحا تتسع بها أرزاق العباد وقد كفت تلك الدولة الأعداء عن المسلمين، فكأنها جاءت شارحة لآيات تحمل كل معاني الأمان.

يقول ابن الجياب من بحر الكامل[58]:

يا دولة نصريّةً قد جُدّدت ... نصراً لأبواب المعاقل فاتحا

وإمامةً سعديّةً قد أطلعت ... سَعْداً ولكن للأعادي ذابحا

فاضت جَدًي فكأنما أيامَها ... جُعلت لأرزاق العباد مفاتحا

كفّتْ عِداً فكأنما أوقاتُها ... جاءت لآيات الأمان شوارحا

ومن مقاصد التفسير إظهار المعاني الخفية؛ أي التي قد تخفى على غير المتخصصين من العامة وغيرهم؛ وقد بدأ ذلك المقصد في أبيات ابن الجياب حين يقول من بحر الكامل[59]:

لا زلتَ فاتحَ كلّ بابٍ مُبْهَمٍ ... في الفضلِ مُظْهِرَ كلّ معنيً خافي

ومعروف أنه تكونت حول القرآن علوم كثيرة تتناول نقطه ورسمه والإملاءات فيه والإدغام والوقف والابتداء كما تناول مشكل معانيه وناسخه ومنسوخه وأحكامه [60].

ونجد ابن الجياب يذكر بعض العلوم التي يستند إليها علم التفسير، وهو علم الناسخ والمنسوخ.

يقول ابن الجياب من بحر الكامل [61]:

تطوي بلاد المسلمين فأصبحت ... منسوخة القرآن بالإنجيل

([57]) الديوان ص 300

([58]) الديوان ص 105

([59]) الديوان ص 274

([60]) د/ شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات الأندلس ص 108

([61]) الديوان ص 332

ويقول ابن الجياب في حال العبد حين ينفس الله عنه الكرب وينزل عليه رحماته أنه ينسخ بؤسه بالنعم.

يقول من بحر الطويل [62]:

وَنفَّسَ عنك الكربَ روحٌ ورحمةٌ فتنسخ بؤساهُ وشيكاً بأنُعمِ

3. علم الحديث :

الحديث هو كل ما حُكي عن النبي –صلى الله عليه وسلم– من قول أو فعل أو تقرير وهو بذلك ليس جميعه أقوالا للنبي –صلى الله عليه وسلم– بل منه ما يسمى باسم الآثار وهي ما رواه الرواة حكاية عن خُلقه أو عمله أو في شأن من شئونه وضم إليه الرواة كثيراً مما حكي عن الصحابة وخاصة الخلفاء الراشدين إذ كانوا يقتدون به في أقوالهم وأفعالهم عملا بقول الله تعالى : " لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة " [63].

وقد "نشطت الأندلس في علم الحديث نشاطا واسعا منذ محدثها وقاضيها (معاوية بن صالح) المتوفي سنة 178 هـ سواء في روايته أو في التصنيف فيها وفي رجاله. يتسع هذا النشاط منذ القرن الثالث الهجري؛ ونلتقى فيه ببقي بن مخلد ثم تلاه محمد بن وضاح المتوفي سنة 287هـ –وله رحلتان إلى المشرق– في نشر الحديث وسعة الرواية".

فاستوسع أهل الأندلس في الحديث من يومئذ وصارت دار حديث ومعدن سند وهما لم يدفعا الأندلس إلي السعة في الحديث وروايته فحسب ، بل دفعاها أيضا إلي معرفة طُرقه وعلله" [64].

"وخاتمة المحدثين بالأندلس أحمد بن فرح الإشبيلي نزيل دمشق وبجامعها حدَّث إلي أن توفي سنة 699هـ، وللأندلسيين معاجم مختلفة في رجال الحديث ورواته، من

([62]) الديوان ص 376

([63]) د/ شوقي ضيف العصر الإسلامي ص 34 – 35

([64]) د/ شوقي ضيف / تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات الأندلس ص 109 – 110

أهمها كتاب أنساب الرواة للرشاطي وكتاب طبقات المحدثين وطبقات أئمة الفقهاء لابن الدباغ" [65].

ومن المعروف أن الحديث بعد وفاة الرسول أخذ ينتقل من جيل إلى جيل، فالمحدث يقول سمعت من فلان عن فلان أو حدثني أو أخبرني أو أنبأني. ومن ثَّم تكوَّن الحديث وتكونت السلاسل الطويلة من رواته، تلك السلاسل التي تضخمت مع مرور الزمن وتعددت طرق رواية الحديث كما تعدد حاملوه وأصبح يحتوي متنا وسندا يطول ويقصر" [66].

وقد أشار ابن الجياب لجزء مهم من أجزاء الحديث ألا وهو الإسناد وذلك وهو يصف الخزرج أنصار الرسول صلى الله عليه وسلم و يصف أخبارهم بأنها موصولة الإسناد.

يقول من بحر الكامل [67]:

مـن خـزرج الفخـر الألـي أخبـارهم موصـــولة الإســـناد بالإســـناد

ويذكر متن الحديث معبراً عنه بلفظ نص الحديث يقول من بحر الكامل [68]:

ونجـازِ وَعْـدٍ صـادقٍ وافـي بـه نـصُّ الحـديثِ وُمْحكَـم القـرآن

ويذكر الرواة الأثبات الذين ينقلون ويرون حديث رسول الله –صلى الله عليه وسلم– الذين نقلوا لنا معجزات رسول الله رواية صحيحة.

يقول من بحر الكامل [69]:

فـي معجـزاتٍ لـيس يُحصـي عُـدها صـحّت بنقـل رواتهـا الأثبـاتِ

ثم يعقب ابن الجياب واصفاً الحديث الصحيح، ويذكره بلفظ صحيح الخبر.

يقول من بحر السريع [70] وهو يجاوب الفقيه أبا القاسم الساحلي:

([65]) المرجع السابق ص 111 وابن الدباغ يوسف بن عبد العزيز الأندلسي المتوفي سنة 546هـ وهو كان من أعرف المحدثين بثقات الرواة وضعفائهم.

([66]) د/ شوقي ضيف العصر الإسلامي ص 36

([67]) الديوان ص 126

([68]) الديوان ص 434

([69]) الديوان ص 83

([70]) الديوان ص 179

فـــإنّ حبـــي فيـــك يـــا ســـيدي مجـــدّدُ الحكـــم صـــحيحُ الخَبَـــر

4. علم الفقه:

" كان المذهب السائد في مملكة غرناطة هو مذهب الإمام مالك وهو المذهب الذي غلب في الأندلس منذ عهد هشام بن عبد الرحمن الداخل في أواخر القرن الثاني الهجري، وإن كان هذا لا يعني الاقتصار على هذا المذهب فقد انتشرت مذاهب أخرى" [71].

" وكان للأندلس –عامة– نشاط خصب في الفقه ودراساته" [72]، "وكان للفقهاء منزلة عظيمة لدي أهل غرناطة و للفقيه رونق ووجاهة و كانت سمة الفقيه عندهم جليلة" [73].

ونجد في شعر ابن الجياب ما يشير إلى علم الفقه فنجده يذكر بعض الأحكام الفقهية ومنها أحكام الصلاة، " والصلاة أعظم فرائض الإسلام بعد شهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله من جحد وجوبها فقد كفر ومن تركها تهاونا وكسلا فقد ارتكب كبيرة" [74].

ويشير ابن الجياب إلى أحكام الصلاة وأنواعها ما بين المجمل والمفصل يقول من بحر كامل [75]:

حتـــي إذا وفَّيـــتَ فيـــه صـــلاته أحكامُهـــا مـــن مجمـــلٍ ومفصَّـــل

ويشير ابن الجياب إلى مصطلحي التحريم والتحليل، وهما من مصطلحات علم الفقه حين يصف تنفيذ السلطان أبي الوليد للشريعة الإسلامية في حكمه، وأنه لولا حكمه لم يبق تحريم ولا تحليل.

يقول من بحر الكامل[76]:

([71]) أ. د / أحمد محمد الطوخي / مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر ص 343

([72]) د/ شوقي ضيف/ تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات الأندلس ص 111

([73]) المقري : نفح الطيب ج1 ص 206

([74]) أ. د / حامد علي حامد الأستاذ المساعد بقسم الفقه العام ص 115 بكلية الشريعة والقانون بأسيوط / كتاب الوسيط في فقه العبادات / عام 1999 – 2000 م مطبعة الشاعظ بأسيوط

([75]) الديوان ص 347

وبنيتُ بالبيضِ الصوارمِ والقنا عِزّ يصولُ به الهدي ويطول

لولا امتعاضُك للبلادِ وأهلها لم يبق تحريمٌ ولا تحليل

ثم يشير ابن الجياب إلى حكم آخر من أحكام الفقه الإسلامي وهو حكم الطلاق البائن ببينونة كبري : "هو الطلاق المكمل للثلاث وهو الذي لا يستطيع الزوج بعده من إعادة زوجته إليه إلا بعد أن تنقضي عدتها منه ويتزوجها آخر زواج صحيح ويدخل بها دخولا حقيقيا ثم يطلقها أو يموت عنها"[77]يقول الله " فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلا تَحِلُّ لَهُ من بعد حتى تنكح زوجا غيره فإن طلقها فلا جناح عليهما إن ظنا أن يقيما حدود الله وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون " [78].

يقول ابن الجياب من بحر الطويل عند حكم الطلاق البائن ويطلق عليه لفظ طلاق البتات [79]:

تجاف عن الدنيا وأمضِ طلاقها طلاقَ بتاتِ إنها شرُّ خُلَّةٍ

ويقول من بحر الكامل أيضا عن طلاق البتات [80]:

علم الهداية والشجاعة والندي ومطلّق الدنيا طلاقَ بتَاتِ

5. علم الكلام:

إذا ما تطرقنا لعلم الكلام فإننا نجد أن الأندلس" لم تعرف الخلافات الكلامية الكثيرة التي عرفها المشرق وإذا كانت الأندلس لم تنتج في الدراسات الكلامية بحوثا خصبة، فإنها أنتجت عند ابن حزم أروع تاريخ ناقد للأديان والفرق والمذاهب الدينية من إلهية ووثنية بكتابه " الفِصَل في الملل والأهواء والنحل " وهو عرض باهر لكل ما يتصل بعلم الكلام في الإسلام" [81].

([76]) الديوان ص 320

([77]) د/ حسين سمرة / أحكام الأسرة في التشريع الإسلامي ص 285 / المادة (248) من كتاب الأحكام الشرعية

([78]) سورة البقرة (230)

([79]) الديوان ص 80

([80]) الديوان ص 84

([81]) د/ شوقي ضيف / تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات الأندلس ص 120 – 122

وقد أشار ابن الجياب إلى نصرة دعوة التوحيد والدفاع عنها والذود عن الدين الإسلامي والغلبة ، والانتصار على التثليث وأهله ولا يكون ذلك إلا بالمعارك الفاصلة التي ينتصر فيها جنده وتقطع آمال كل معاند أو طامع.

يقول في مدح أحد الأمراء من بحر الكامل [82]:

أبشر فإن الله ناصر جُنْدِهِ وعداً كريماً وهو مُنجزُ وعدهِ
واصدع بأمرك فهو ماضٍ حُكمهُ لا مطمعٌ لمعاندٍ في ردّه
واضربْ بعزم منك مطرور الشّبا مثل المهنّد منتضيً من غمدهْ
لابد من يومٍ أغر محجّل تُتْلي عجائب صُنعه من بَعده
ووقيعةٌ الكفر تجبر ما جري وتريه عكس مُراده في طرده
يلقي بها التوحيد غاية سؤلهِ ويري بها التثليث شقوة جدّه

ويصف ابن الجياب روعة التوحيد الذي تحققه الخلافة الإسلامية في الأندلس بكافة تكويناتها ووزرائها قال ابن الجياب عن الوزارة الحكيمة يخاطب خلافة حضرة تونس والأبيات من بحر الكامل[83]:

هذا مقام العدل والإنصافِ عَلَمُ الهُدي وخليفة الرّحمنِ
بادِر إلى لثم البساطِ تبرُّكاً بمشاهدِ التوحيدِ والرّضوانِ

وقد ذكر ابن الجياب بعض المصطلحات التي تتصل بعلم الكلام مثل الملل والإلحاد والأحزاب وفرق الضلالة و عباد الطواغيت.

ويذكر ابن الجياب مصطلح الملل في معرض مدحه لأمير المسلمين أبي الحجاج يوسف الأول، ودفاعه عن ملة التوحيد وتوطيدها والانتصار بجنده المجاهدين حيث أيد التوحيد ودمر التثليث.

يقول من بحر الكامل[84]:

ثم انثنيت وحولك الجندُ الذي صحبتْهُ من نصر الإله جنود

([82]) الديوان ص 128
([83]) الديوان ص 452
([84]) الديوان ص 118

فيــه حمــاةُ الــدين أنصــارُ الهــدي والمصــرخون الحــق مهمــا نــودوا
فيــه بنــو الحــرب الألــي بجهــادهم للملّـــــة التمهيـــــد والتوطيـــــد
هــم دمــروا التثليــث بــالعزم الــذي بمضـــائه قـــد أُيّـــد التوحيـــد

ويذكر ابن الجياب مصطلح الملة أيضا. حيث يذكر تحسر الروم وقد هُزموا أمام يوسف الأول، وهم يرون ممالك الأندلس كلها آلت إليه وشعروا بمدى الخذلان والخزي؛ بدأوا يخضعون إلى خليفة المسلمين بالتسليم.

يقول ابن الجياب من بحر الكامل [85]:

لمـــا رأوا أمـــلاك أنـــدلسٍ وقـــد ألقــوا علــي وَهْــنٍ يــدَ المخــذول
والــرومُ قــد كلبــت ومــدّت خطوهــا فـــي ملـــة الإمـــلاء والتســـويل

وذكر ابن الجياب مصطلح الإلحاد حيث يصف قبيلة الخزرج وكيف نصروا الرسول صلى الله عليه وسلم وكان الخلق كلهم يعيشون في ظلم الإلحاد، وظلامه يقول من بحر الكامل[86]:

مــن خــزرج الفخــر الألــي أخبــارهم موصـــولة الإســـناد بالإســـناد
نصـــروا رســـول الله إذ لا ناصـــر والخَلْــق فــي ظُلَــمٍ مــن الإلحــاد

وذكر ابن الجياب مصطلح فرق الضلالة، حيث يذكر فضل المجاهدين المسلمين بالأندلس لقد كانوا يجاهدون لنصرة دين الله ونشر السنة البيضاء وأرادوا أن يعلو يد الإيمان على الكفر وأهله؛ فقد طهروا الأرض من كل مضلل فتان وفرقوا بسيوفهم فرق الضلال وحزب الشيطان.

حيث يقول من بحر الكامل [87]:

فبــدا منــارُ السُــنّةِ البيضــاء فــي أرجـــائكم وعلـــت يـــدُ الإيمـــان
هــم طهّــروا أرجاءهــا ومحــو بهــا آثـــارَ كـــلّ مضـــلّل فتّـــان

([85]) الديوان ص 331 – 332
([86]) الديوان ص 126 – 127
([87]) الديوان ص 440

نسخوا بحُكم السيفِ ما اختلفت بها فِـرقُ الضـلال وشـيعة الشـيطان

وذكر ابن الجياب أسماء لبعض الفرق الكلامية محذرا من اتباعها داعين المسلمين لاتباع سبيل الهدى القائم على الكتاب والسنة والفهم الوسطى لمحبة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وصحابته دون غلو أو تفريط يقول من بحر الكامل [88]:

فاجعـل محبتـه سـبيلك واقتصـدْ لا تغـلُ غيـرَ الحـق فيـه فتكفـرا
سـيان مبغضـه ومَـنْ فيـه غـلا حـادا عـن الـنهج القـويم وأكبـرا
لا تسـمعنَّ لناصـبٍ أو رافـضٍ فكلاهمـا ركـب الهـوي فتحيـرا
والحـق بـين البـاطلين فخُـذ بـهِ وتحـرّ منهجـهُ الجلـيّ الأنـوارا

ويذكر ابن الجياب مصطلح الحزب أو الأحزاب حين يفخر بنصرة حزب التوحيد ذلكم الحزب الفائز والمفضل لديه والمدافع عن دين الله وقد تأثر ابن الجياب في ذلك بقول الله تعالي " أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون " [89] يقول ابن الجياب من بحر الطويل[90]:

ففـازت قِـداحُ الـدين واعتـز حزبُـهُ فيـا حُسـن خيـلِ الله عاديـةً ضَـبْحا

ويذكر ابن الجياب مصطلح الحزب أيضا عندما ذكر حزب الأعداء المناهضين للمسلمين وداعا لعدم استكثارهم والخوف من عددهم وعدادهم يقول من بحر السريع[91]:

أمـا العـدو فمكبـوتٌ ومخـذولُ وحـدهُ حيثمـا أمضـاهُ مفلـولُ
فـلا تخـفْ منـه بأسـاً طـاف طائفُـه ولا يهولنْـك ترويـعٌ وتهويـل
ولا ترعْـكَ جنـودٌ منـه قـد كثـرتْ فـإن تكثيـرَ حـزبِ الكفـر تقليـل

([88]) الديوان ص 204
([89]) سورة المجادلة الآية 22
([90]) الديوان ص 108
([91]) الديوان ص 354

ب . العلوم اللسانية:

وتشمل من العلوم اللسانية النحو والعروض والمنطق والفلسفة [92]:

1- علم النحو :

إن الأسباب التي دعت الأندلسيين للاهتمام بالعلوم العربية عامة – وعلم النحو خاصة– "أنهم أرادوا أن يجاروا المشارقة في اهتمامهم بعلم النحو حتى يظهروا بالمظهر اللائق حضاريا وهم يخوضون تجربة حضارية كبيرة في بلاد بعيدة عن عواصم الحضارة العربية كدمشق و بغداد وغيرها" [93]، "وقد كان اهتمامهم بالعلوم النحوية له الأثر البالغ في حفظ العربية وآدابها" [94].

وقد كان نشاط الأندلس عامة في النحو لا يقل عن نشاطها في اللغة إن لم يتفوق عليه إذ كان المؤدبون في القرنين الثاني والثالث للهجرة يعلمون الناشئة اللغة كما كانوا يعلمونها العربية أو النحو..." [95].

وكان النحو عندهم على حد قول المقري في نفح الطيب " من علوم الطبقة حتى أنهم في هذا العصر كأصحاب الخليل وسيبويه لا يزداد مع هرم الزمان إلا جدة وهم كثيرو البحث فيه وحفظ مذاهبه كمذاهب الفقه وكل عالم في أي علم لا يكون متمكنا من علم النحو، بحيث لا تخفى عليه الدقائق فليس عندهم بمستحق للتميز ولا سالم من الازدراء" [96].

([92]) سعد إسماعيل شلبي : البيئة الأندلسية وأثرها فى الشعر ص 358

([93]) د/ خالد بن محمد مبارك القاسمي / تاريخ الحضارة الإسلامية في الأندلس ص 101

([94]) المرجع السابق ص 104

([95]) د/ شوقي ضيف / عصر الدول والإمارات الأندلس ص 95

([96]) المقري : نفح الطيب ج1 ص 206

تعريف علم النحو:

قال ابن جني في باب القول على النحو: "هو انتحاءُ سمتِ كلامِ العرب في تصرفه من إعراب وغيره؛ كالتثنية والجمع والتحقير والتكسير والإضافة والنسب والتركيب، وغير ذلك، ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة، فينطق بها وإن لم يكن منهم"[97] .

وقال ابن السراج: "النحو علم استخرجه المتقدمون من استقراء كلام العرب"[98] .

وقال ابن عُصفور: "النحو علم يُستخرَج بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب الموصلة إلى معرفة أحكام أجزائه التي ائتلف منها"[99] .

وقال ابنُ الحَكَم الفَرْخان: "النحوُ صناعة علمية ينظر لها أصحابها في ألفاظ العرب، من جهة ما يتألف بحسب استعمالهم، لتُعرَفَ النسبة بينَ صيغة النَّظْم وصورة المعنى، فيُتَوَصَّلُ بإحداهما إلى الأخرى" [100] .

ويقول ابن الجياب في ذلك المعنى من بحر الرمل [101]:

هـــذبتنا فكـــرةٌ قـــد برقشـــت حُســـنها فـــي طرســـها المـــرقّش

دمـــتَ قـــاهرَ العـــداةِ فمتـــي تـــرم ســـهماً نحـــوهم لا يَطِـــش

وقد كان أبو علي القالي من أكثر علماء النحو الذين أفاد الأندلسيون بعلمهم في النحو وقد استقدمه عبد الرحمن الناصر من المشرق وتعلم على شيوخ العربية والحديث واللغة والأدب والنحو والصرف وقد عرف بين الأندلسيين بسبق الاطلاع في العلم والرواية ويكاد المؤرخون يجمعون على أنه أحفظ أهل زمانه.

وساعد على الانتفاع بعلمه ذكاء أهل الأندلس وقوة حفظهم ومن أشهر كتبه "(الأمالي) لأبي علي القالي ونوادره وقد ظل في قرطبة يبث علمه إلى وفاته سنه

([97]) كتابه: المُقرَّب: 1/ 45 تحقيق: أحمد عبد الستار وعبد الله الجبوري. الطبعة الأولى 1971م.

([98]) في كتابه: الأصول: 1/ 35 تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة بيروت. 1988م.

([99]) في كتابه: المُقرَّب: 1/ 45 تحقيق: أحمد عبد الستار وعبد الله الجبوري. الطبعة الأولى 1971م.

([100]) في كتابه: المستوفَى في النحو: 1/ 11 تحقيق: محمد بدوي المختون، دار الثقافة العربية، القاهرة، 1987م.

([101]) الديوان ص 223

358 هـ وقد علمنا أنه رحل إلى الأندلس سنة 330 هـ فتكون مدة إقامته في الأندلس ونشره علمه 28 سنة" [102].

وقد أشار ابن الجياب إلى أبي علي القالي في شعره قائلا من بحر الكامل [103]:

أقسمت لو أن قد تقادمَ عهدُها كانت بها الأمثال دأباً تضرب

أو يسمع القالي نوادرها التي راقت حُلي كانت إليه تحبَّب

ويذكر ابن الجياب أنواع الإعراب الذي يختص بالأسماء وهو الرفع والنصب والجر [104]

يقول من بحر الطويل [105]:

يري أنه حقا إمام لساننا فما حظُّهُ منه سوي النَصْب والجرّ

ويذكر قضية من قضايا علم النحو تختص بالجملة الفعلية. [106]

ضربَ زيدٌ عمرًا

أكثر النحاة من اعتماد كلمتي: زيد وعمرو مسبوقتين بالفعل (ضرب) في إيرادهم للأمثلة الدالة على القواعد النحوية، فلا يكاد يخلو كتاب من كتب التراث النحوي من ذكر زيد وعمرو مصحوبين بالفعل ضرب ومتصرفاته، في أمثلته، ولعل هذا – وإن عابه البعضُ ورآه شيئا مثيرا للسخرية أحيانا – يكون مفيدا ومهما من الناحية التعليمية للطلاب الذين يتعلمون علم النحوِ؛ إذ إن فيه تثبيتا للأمثلة، وهذا مما يعين الطالب على التركيز في القواعد وعدم التشتت، بخلاف ذكر أمثلة متعددة

([102]) د/ خالد بن محمد مبارك القاسمي / تاريخ الحضارة الإسلامية في الأندلس ص 101 – 102

([103]) الديوان ص 67

([104]) بهاء الدين عبد الله بن عقيل : شرح بن عقيل على ألفية بن مالك ج1 ص 43 مكتبة دار التراث ط 20 – 1980م

([105]) الديوان ص 181

([106]) الديوان ص 181

يمكن أن تجعل الجهد العقلي للطالب موزَّعا بين فهم المثال الجديد وفهم القاعدة التي يدرسها واستيعابه وترسيخها في ذهنه.

يقول من بحر الطويل [107]:

وآخـر أقصـي علمـه ضـربُ زيـدهِ وما كـان من ضَرْبٍ لزيدٍ ولا عمرو

ويذكر ابن الجياب قضية مهمة من قضايا علم النحو وهي قضية الحال والاستقبال

وهذه القضية تخص المشتقات، وهي شرط إعمال المشتقات (اسم الفاعل ، اسم المفعول ، صيغة المبالغة) غير المقترنة بأل حيث لابد أن تدل علي الحال والاستقبال.

يقول من بحر الرمل [108]:

لـم أجـد فـي الشـكر قـولا وافيـا مُكافئـا مطبقـا للمفصـل

فاهنـأ اليـوم بعيـدٍ عائـد بالرضـا فـي الحـال والمسـتقبل

وابـق والسـعد خـديمٌ مخلـصٌ لـك والعـزّ منيـع المعقـل

ويذكر قضية أخرى من قضايا علم النحو ألا وهي قضية التوابع.

تعريف التوابع:

عرَّفَ ابن مالك التابعَ بقوله: "هو ما ليس خبرا من مشاركٍ ما قبله في إعرابه وعامله مطلقا، وهو توكيدٌ أو نعتٌ أو عطفُ بيانٍ أو عطف نسق أو بدل"[109].

وفي شرح المفصل لابن يعيش يُورِد أولا تعريف الزمخشري صاحب المفصل للتوابع، الذي يقول فيه إن التوابع: "هي الأسماء التي لا يمسها الإعرابُ إلا على سبيل التبع لغيرها، وهي خمسة أضرب: تأكيد وصفة وبدل وعطف بيان وعطفٌ بحرف". ثم يعرِّفُها ابنُ يعيش بقوله: "التوابع هي الثواني المساوية للأول في

(107) الديوان ص 181
(108) الديوان ص 319
(109) في كتابه: شرح التسهيل: 3/ 286

الإعراب بمشاركتها لـه فـي العوامل" ثم يخالفُ الزمخشري في ترتيبها ويوافقه في عددها فيذكر أنها خمسة: تأكيدٌ وصفةٌ وعطفُ بيان وبدلٌ وعطفٌ بحرفٍ... [110] .

يقول في مدح أمير المسلمين يوسف الأول من بحر الطويل[111]:

وَوِردٍ عليـــه للضـــجيع مجاســـدٌ إذا راهـــن العقبـــان فهـــي توابـــع

تســابق منــه الطــرف أربعُــه التــي إذا مــا اســتطارت فــالبروق طوالــع

ومن القضايا النحوية أيضا قضية :

لعلَّ وعسى

بينهما وجه اتفاق وأوجه اختلافٍ؛ فيتفقان في أنَ كِلْتَيْهما تفيد معنى الرجاء، والرجاء هو: معنًى يفيد طلبَ حدوثِ شيء أو توقعَ حدوثه.

ويختلفانِ في أنَّ (لعلَّ) حرفٌ من حروف المعاني ولا محلَّ له من الإعراب، وقد يكون خبرها مفردا أو جملة (اسمية أو فعلية) أو شبه جملة. أما (عسَى) فهي فعلٌ ناقصٌ ناسخ ويشترط في خبرها أن يكونَ جملة فعلية لتعوِّضَ النقصَ اللاحق بها وهو عدم دلالتها على الزمن، فيكون الخبر جملة فعلية لتدل من خلال فعلها التام على معنى الزمن المفقود في عسى.

يقول ابن الجياب من بحر الطويل: [112]

هـوِ البـين ظننـا لا لعـلّ ولا عسـي فما بال نفسي لم تفض عندي أسي

2. علم العروض:

وعلم العروض : هو العلم الذي يدرس الوزن ، والوزن هو صورة الكلام الذي نسميه شعرا ، الصورة التي بغيرها لا يكون الكلام شعرا[113].

([110]) انظر كتابه: "شرح المفصل: 3/ 69 تحقيق: أ.د/ إبراهيم محمد عبد الله، دار سعد الدين، دمشق، الطبعة الأولى 1434هـ - 2013م.

([111]) الديوان ص 242

([112]) الديوان ص 215

([113]) الخطيب التبريزي : الكاف في العروض والقوافي : تحقيق الحساني عبدالله ص 4 ط 4 مكتبة الخانجي 2001م

وأول واضع لعلم العروض هو الخليل بن أحمد المتوفي سنة 170 هـ، والذي استنبطه وأخرجه إلى الوجود وحصر أقسامه في خمس دوائر يستخرج منها خمسة عشر بحرا ثم زاد فيه الأخفش بحرم واحداً سماه الخبب [114].

وكان أبو القاسم عباس بن فرناس حكيم الأندلس أول من فك بالأندلس كتاب العروض للخليل.

ومن ملامح علم العروض في شعر ابن الجياب يذكر قصيدة مدح فيها يوسف الأول، و يذكر أنها قصيدة شينية بقصد أنها قصيدة ذات روي حرف الشين يشير هنا إلى أهم قضية من قضايا علم العروض وهي قضية الوزن والقافية وما مثل هذه القصيدة لأبي الشيص [115]أو المرقش [116].

يقول ابن الجياب في قصيدته من بحر الرمل [117]:

يوسف يا سبطَ أنصار الهدي وكفي هم عيبتي وكرشي
يا ابن سعدٍ وابنَ نصر نَسَب أحرز المجد الأثيل العرش
هاكها شينية ما مثلها لأبي الشيص ولا للمرقش
هذبتها فكرةٌ قد برقشت حسنها في طرسها المرقش

ويذكر الشاعر بحر الرجز، وهو بحر من بحور الشعر معروف و تسمى قصائده الأراجيز واحدها أرجوزة ويسمي قائلها راجز [118].

يقول ابن الجياب من بحر الرمل في مدح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب [119]:

([114]) جرجي زيدان : تاريخ التمدن الإسلامي ج3 ، ص 120

([115]) أبو الشيص : هو محمد بن عبد الله ابن رزين شاعر من شعراء صدر الدولة العباسية توفي سنة 196 هـ جمع شعره عبدالله الجبوري . بغداد 1967 ومن مشهور شعره أجد الملامة في هواك لذيذة حبا لذكرك فليلمني اللوم.

([116]) المرقش : هو ربيعة بن سعد بن مالك احد شعراء العصر الجاهلي واحد عشاق العرب المشهورين موبايلات طب المرقش الاكبر واسمي المرقش لقوله :

الدار قفر والرسوم كما رقش في ظهر الأديم حكم

ترجمته في (الشعر والشعراء 1 : 210) المفضليات : 45 ، الأغاني 5 : 179

([117]) الديوان ص 222

([118]) إبراهيم أنيس موسيقى : الشعر ص 127 ، ط 7 مكتبة الأنجلو المصرية ، 1997

([119]) الديوان ص 203

واذكـــر بخيبـــر مرحبـــا لمـــا بـــدا يختـــال مـــا بـــين الصـــفوف تبختـــرا
يتلـــو الأراجيـــز التـــي قـــد قوبلـــت بأجـــلّ قـــدرا فـــي الفخـــار وأســـيرا
ثـــم اســـتقلّ بطعنـــة نســـخت لـــه حكـــم الأراجيـــز التـــي قـــد زوّرا

ويذكر ابن الجياب من بحر الرمل وهو بحر من بحور الشعر.

يقول في مدح أمير المسلمين أبي الحجاج يوسف الأول والقصيدة من بحر الكامل [120]:

وبنـــي بـــدار الملـــك مســـجد رحمـــةٍ فيـــه يراقـــب ربـــه وينـــاجي
ترديـــد ذكـــر الله فيـــه أُنســـه لا أُنـــس بالأرمـــال والأهـــزاج

3. علم المنطق:

ويعرف علم المنطق "بأنه قوانين يعرف بها الصحيح من الفاسد في الحدود المعرفة للماهيات والحجج المفيدة للتصديقات ، وذلك لأن الأصل في الإدراك؛ إنما هو المحسوسات بالحواس الخمسة"[121].

"ومع كثرة دخول الكتب الفلسفية للأندلس في عصر أمراء الطوائف كثر معها الإقبال على الدراسات المنطقية ، ويشير صاعد بن أحمد الطليطلي المتوفي سنة 462هـ في كتابه طبقات الأمم مرارا إلى من أكبوا علي دراسة المنطق مثل أبي الوليد الوقشي الطليطلي وابن الجلاب السرقسطي وابن سيدة المرسي، وفيه يقول : "عني بعلوم المنطق عناية طويلة وألف فيه تأليفا كبيرا مبسوطا" وعلى الرغم مما يقال من أن عصر المرابطين كان عصر الفقهاء المحافظين نجد الدراسات المنطقية والفلسفية تنشط فيه ويشتهر بها غير منطقي ومتفلسف ويلقانا ممن عكفوا على دراسة المنطق أبو الصلت أمية بن عبدالعزيز الداني المتوفي سنة 529هـ وله في المنطق كتاب تقويم الذهن"[122].

([120]) الديوان ص 92

([121]) ابن خلدون : العبر ، ج1 ص 489 ، المقدمة ، ص 460

([122]) د/ شوقي ضيف / تاريخ الأدب العربي / عصر الدول والإمارات الأندلس ص 84

ومن الإشارات المنطقية التي جاءت في شعر ابن الجياب كلمة المنطق، وقد ذكرها في سياق مدح ذي الوزارتين أبي عبد الله بن الحكيم وذكر صفاته و أخلاقه الحسنة التي جعلت الشاعر يتحدث بالحكمة والمنطق يقول من بحر الطويل[123]:

فيا أوحدَ الأمجاد ذاتا ومحتداً ... لك الفضل ما أهمي نداك وأغدقا
حباني عودا بعد بدء مواهباً ... شرحتُ لها صدرا وأعملتُ منطقا

ويشير ابن الجياب إلى قاعدة مهمة من قواعد علم المنطق، وهي قاعدة القياس التي تعتمد على صدق المقدمات للوصول إلى النتائج الصحيحة، وذلك في معرض مدحه للخليفة أبي الحجاج يوسف الأول يقول ابن الجياب من بحر الكامل [124]:

ولدي العزيز ابسط بساط تذلُّلٍ ... وإلي الغنيّ امدد يدَ المحتاج
هذا الطريق له مقدمتان صا ... دقتان أنتجتا أبرَّ نتاج
فاجمع إلي ترك الهوي حمل الأذى ... واقنع من الأسباب بالإدماج

"وقد اقتبس المسلمون علم المنطق ليستعينوا به في الجدل والمناقشة والحوار ضد أعداء الإسلام [125]. وقد أشار ابن الجياب إلى ذلك حين جاوب الفقيه أبا الطاهر بن فواش واصفا صحيفة له وكتاب وصفه بالبشكوالي، تلك الصحيفة التي راقت ظاهرا وباطنا وامتلأت بالكلام الطيب الموضح لأخلاق صاحبها، و رجاحة عقله تلك الصحيفة الممتلئة بالحكمة والمنطق السوي الذي أزال به كل شبهة للأعداء ولم تبق تلك الصحيفة علي شبهة مجادل أو مناظر.

يقول ابن الجياب من بحر الكامل [126]:

وافت صحيفتك الموشاة التي ... قد نظمت دُررٌ بها ودراري
كالروض باكره الحيا فتفتحت ... في ساحتيه بدائع الأزهار
من أبيض يققٍ وأحمرَ قانئ ... مثل اللجين مقابلا بنُضار
أو وجنةٍ حسناء أشرق نورها ... ماء النعيم بصفحتيها جاري

([123]) الديوان ص 292
([124]) الديوان ص 95
([125]) أحمد شلبي : المناهج الإسلامية ص 170
([126]) الديوان ص 171 – 172

معهـــا الكتـــاب البشـــكوالي الـــذي هـــو بهجـــة الأســـماع والأنظـــار
قـــد راق ظـــاهره وباطنُـــه كمـــا قـد فقتَ فضلَ نُهي وطيبَ نَجَار
لـــم تبـــق فيـــه شـــبهة لمجـــادل إذ نقحتـــــه جهابـــذ النظـــار

ومن المصطلحات التي أشار إليها ابن الجياب، والتي هي من صميم علم المنطق والإدراك والصدق والكذب، يذكر ابن الجياب مصطلح الإدراك حين وصف غزو يوسف الأول لمعقل لورقة.

يقول من بحر الكامل[127]:

فتركتـــه قاعـــا يبابـــا مثلمـــا تركـــت مســـاكنها العظـــامَ ثمـــود
والآن أعملـــت الركـــاب لعزمـــةٍ مـــن شـــأنها الإدراك والتســـديد

ويذكر مصطلح الكذب يقول من بحر الكامل [128]:

واصـــرف وساوســـك الكثيـــرة إنهـــا جاءتـــك عـــن تـــرجيم ظـــن يكـــذب

ويذكر مصطلح الصدق يقول من بحر الكامل [129]:

لـــو أننـــي وفيـــت عهـــدك صـــادقا لهجـــرتُ بعـــدك مطعمـــي وشـــرابي

كما ذكر ابن الجياب الحواس الخمس التي يعتمد عليها الإدراك فذكر حاسة البصر وعضوها العين. يقول من بحر الكامل [130]:

أو أحمـــرٌ راقَ العيـــون فلونُـــه لـــونُ الخـــدود يزينهـــا التوريـــد

4. الفلسفة:

عرف الأندلسيون بعدائهم للفلسفة ، حيث اعتبروها مخالفة للدين ، وكل من يشتغل بها يعتبر زنديقا خارجا عن الإسلام ومع مضي الزمن أخذت الفلسفة تشق طريقها في الأندلس لعدم تشدد رجال الفقه في موقفهم منها.

([127]) الديوان ص 120
([128]) الديوان ص 66
([129]) الديوان ص 73
([130]) الديوان ص 214

وقد ارتبطت الفلسفة بالطب والتنجيم وقد رأينا أن عددا من أطباء الأندلس اشتغلوا في الفلسفة ،ولم يكن بينهم من اقتصر علمه على الفلسفة.

وقد كان الاشتغال بالفلسفة ينقسم إلى نوعين : نوع أميل إلي التصوف منه إلي الفلسفة الصرفة والنوع الثاني من اشتغلوا بالفلسفة الصرفة علي النحو الذي صار عليه أرسطو [131].

" وأول شخص تضاف إليه الفلسفة في الأندلس هو محمد بن عبد الله بن مسرة المولود بقرطبة سنة 269 للهجرة وقد اعتنق مبكرا بعض الآراء الفلسفية والفلسفة التي كان يعتنقها هي المبادئ الفلسفية للمدرسة الأفلاطونية الحديثة وظلت تعاليم ابن مسرة حية في الأندلس طويلاً" [132].

ويعد ابن باجة المتوفي سنة 533 للهجرة أول فيلسوف أندلسي بالمعنى الدقيق لكلمة فيلسوف فلم تختلط آراؤه بالتصوف كسابقة ابن مسرة وخلفه ابن طفيل وابن رشد فبلغا بالفلسفة الإسلامية في موطنهم الغاية التي ليس وراءها غاية.

ومما لاشك فيه أن فلسفة ابن رشد وأفكاره كان لها الأثر البعيد في قيام حركة التحرر والإصلاح الديني و النهضة الأوروبية ويقول بالنثيا: أن تأثير ابن رشد في تاريخ الفكر الأوروبي كان حاسما وهو تأثير يحتاج بيانه إلى مجلدات طوال وهو يعد بحق خاتمة الفلاسفة والمفكرين العظام في الأندلس[133].

وقد وردت بعض الملامح الفلسفية في شعر ابن الجياب ومنها اليقين الذي يعقب رحلة طويلة من الشك ذلك اليقين الذي يصل إليه الفيلسوف والذي يصبح لديه حق لا لَبس فيه. يقول ابن الجياب من بحر الطويل [134]:

ســـواءٌ لديـــه تبرُهـــا وترابهـــا تجلّـي لـه الحـق اليقـين فـلا لَـبس

([131]) د/ خالد بن محمد مبارك القاسمي / تاريخ الحضارة الإسلامية في الأندلس ص 88

([132]) د/ شوقي ضيف / عصر الدول والإمارات ص 82

([133]) د/ شوقي ضيف تاريخ الدول والإمارات ص 88

([134]) الديوان ص 214

ويذكر ابن الجياب الظن بمعنى الشك ذلك الظن الذي يراود صاحب الفكر الفلسفي وهو مبدأ ومعاد إلى أن يصل من خلاله إلى اليقين، يقول ابن الجياب من بحر المديد [135]:

سيدي بالله لا تتركني لظنوني المبداة المعادة

ويذكر الظن أيضا في قوله من بحر الطويل [136]:

هو البين ظنا لا لعل ولا عسي فما بال نفسي لم تفض عندي أسي

ويذكر ابن الجياب طول حجاج الفلاسفة وجدالهم وكثرة أقوالهم وبسطها.

يقول من بحر الكامل [137]:

حرفان قد جمع الذي قد سطروا من بسط أقوال وطول حِجاج

الخاتمة

إن حياة ابن الجيَّاب توافر لها الروافد التي لم تتوفر لغيره من الشعراء ، ولذلك جاء شعره معبرًا عن مظاهر الحضارة الثقافية أصدق تعبير .

حيث استطاع أن يصور لنا العديد من مظاهر الحضارة الثقافية ؛ حيث وُجِدَ في شعره ما يشير إلى التعليم ، فأشار إلى طرق التعليم ، وصفات المعلمين ، والمكتبات . ولقد تطرق إلى وصف الحركة العلمية وصفًا دقيقًا حيث وصف العلوم الدينية؛ فخصَّ علم القراءات والتفسير والحديث والفقه ، ثم العلوم اللسانية وتشمل : النحو والعروض والمنطق والفلسفة .

([135]) الديوان ص 147

([136]) الديوان ص 215

([137]) الديوان ص 95

المصادر والمراجع

1- ابن الخطيب (لسان الدين محمد بن عبدالله بن سعيد ت: 766هـ ، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام ، تحقيق وتعليق ليفي بروفنسال ، مكتبة الثقافة الدينية ، 1426هـ / 2006م.

2- ـــــــــــ : الإحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق محمد عبدالله عنان ، مكتبة الخانجي بالقاهرة 1421هـ / 2001م.

3- ابن خلدون (عبدالرحمن بن محمد بن خلدون المغربي) ت: 808هـ ، العِبر وديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، دار الطباعة الخديوية ببولاق ، سنة 1284هـ.

4- الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير الطبري) ت: 310هـ ، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، مصر ، من 1961م – 1969م.

5- ابن الجياب الغرناطي (علي بن محمد بن سليمان بن علي بن سليمان بن حسن الأنصاري الغرناطي ، ت: 673هـ : الديوان تحقيق الأستاذ الدكتور فوزي عيسي أستاذ الأدب العربي.

6- ابن منظور (جمال الدين بن محمد بن مكرم بن علي بن منظور الأنصاري الخزرجي) ت:711هـ ، ط1 دار المعارف 1981م.

7- المقري (أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني) ت: 1041هـ ، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض : الأجزاء الثلاثة الأولي تحقيق مصطفي القا وإبراهيم الإيبياري وعبدالحفيظ شلبي ، لجنة الترجمة ، والنشر 1939م ، الجزءان الرابع والخامس ، تحقيق سعيد أحمد، أعراب د. عبدالسلام الهراس ، ط1 ، الرباط ، 1400هـ / 1980م.

8- المقري : نفح الطيب ، تحقيق د. إحسان عباس ، ط5 ، صادر ، بيروت ، 1429هـ / 2008م.

ثانيًا: المراجع:

1- إبراهيم أنيس : موسيقي الشعر ، ط7 ، مكتبة الانجلو المصرية ، 1997م.

2- إحسان عباس : تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة ، ط1 ، دار الثقافة بيروت لبنان 1960م.

3- أحمد شلبي : التربية والتعليم في الفكر الإسلامي ط8 ، مكتبة النهضة المصرية ، 1987م.

4- أحمد شلبي : المناهج الإسلامية ط9 ، مكتبة النهضة المصرية ، 1993م.

5- جودت الركابي : في الأدب الأندلسي ، ط6 ، دار المعارف ، القاهرة 2008م.

6- حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ط9 ، دار الرشاد 1429هـ / 2008م.

7- ـــــــ : عصر الدول والإمارات ، الأندلس ط4 ، دار المعارف 2007م.

8- ـــــــ : العصر الإسلامي ط23 ، دار المعارف القاهرة ، 2007م.

9- الطاهر أحمد مكي : دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة ، ط2 ، دار المعارف ، 1983م.

10- محمد عبدالحميد عيسي : تاريخ التعليم في الأندلس ، ط1 ، دار الفكر العربي 1982م.

ثالثًا : الكتب المترجمة:

1- خوليان ريبيرا : التربية الإسلامية في الأندلس ترجمة د. الطاهر أحمد مكي ، ط2 ، دار المعارف 1994م.

2- ليفي بروفيسيال : الإسلام في المغرب والأندلس ، ترجمة د. السيد محمود عبدالله العزيز سالم والأستاذ محمد صلاح الدين سلمي ، دار نهضة مصر للطبع والنشر الفجالة ، القاهرة ، حضارة العرب في الأندلس ترجمة ذوقان قرقو ، ط1 ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت لبنان.

رابعًا : الرسائل الجامعية:

1- حمدي أحمد حسانين : شعر ابن سهل الأندلسي ، دراسة فنية ، رسالة ماجستير كلية الآداب ، جامعة الزقازيق ، 1409هـ / 1988م.

2- محمد حلمي عبدالله عنتر : مظاهر الحضارة الأندلسية في شعر بن زمرك وموشحاته ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة الزقازيق.

3- رضا عبدالعظيم علي مرسي : مظاهر الحضارة الأندلسية في شعر ابن دراج القسطلي ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة الزقازيق(1433هـ - 2012م).